

افاق



يرصد رها اتحاد كتاب المغرب

بعد المؤتمر

حينما عقد «اتحاد كتاب المغرب» مؤتمره الثاني ، لم يكن يهدف من وراءه أن يكون مؤتمراً تنظيميا تلتقى فيه الخطب ، ويخرج منه بتوصيات نظرية ، وانتخابات مكتبية . وإنما كان يستهدف منه أن يكون مؤتمراً للنقد الذاتي ، يقف فيه الكتاب ليناقشوا المستوى الذي وصلت إليه الثقافة والفكر والانتاج الثقافي في المرحلة التي يجتازها المغرب . وليبندوا من المؤتمر مرحلة جديدة في طريق المخلق الأدبي .

هل يعني ذلك أن المؤتمر امتدح إلى أن الثقافة والفكر يمران بمرحلة اخصاب في المغرب ، وأن الانتاج الأدبي يجب أن يعكس هذه المرحلة ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هل يعني ذلك أن المؤتمر أدان وضعيّة الانتاج الفكري في المرحلة السابقة ، وكشف عن تخلف هذا الانتاج عن المستوى (في الكم والكيف) الذي كان يجب أن يبلغه في المرحلة التي تعيشها الثقافة بالمغرب ؟

هل يعني ذلك أن المؤتمر بحث في آفاق الانتاج الفكري ، ووضع تخطيطا مدققا لمستقبل الانتاج يحققه الكتاب تحت اشراف اتحادهم ؟

من المجازفة في القول أن نقول ان المؤتمر أخذ من الوقت ما يكفي لدراسة أوضاع الثقافة والانتاج الأدبي وخطط لمستقبلهما . ولكنه مع ذلك حاول أن يبلور النقد الذاتي الذي قام به في عدة توصيات تضع المثقفين والكتاب أمام مسؤولياتهم ، وتدفع بهم الى تبني مرحلة الاخصاب الأدبي التي نرجى لبلادنا .

ومن الطبيعي أن يبحث المؤتمر عن وسائل التنشيط الثقافي ، فيحرصوا بتكوين فروع للاتحاد ، وتكوين تعاونية للنشر مثلا . ولكن ذلك التنظيم لم يكن ينتظر منه أن يخلق من العدم وجوداً . فتتظيم النشاطات الثقافية يقتضي وجود نشاط في حاجة الى تنظيم . وتكوين تعاونية للنشر يقتضي أن يكون هناك أدب لم يجد مجالا للنشر . وواقع الأدب المغربي لا يعطي صورة هذه المقدمة التي تفضي بنا الى النتيجة .

واقع الأدب المغربي وواقع النشاط الثقافي يبعثان على كثير من الإشفاق . ذلك أن السنوات تمر ولا نكاد نكتشف أفلاما جديدة تقدم عطاء جديدا للأدب المغربي . والسنوات تمر والرجس القديمة ما تزال عند التجربة التي انتهت ليها ، لا تحاول ابداع تجربة جديدة ، أو هي لا تقوم حيال انتاجها بنقد ذاتي تقوم فيه العطاء الذي قدمته حتى الآن ، وتنتهي من هذا التقييم الى عطاء جديد .

والسنوات تمر والنشاط الثقافي ما يزال يدب أو يحبو وكأنه لم يكتشف بعد طريق الإطلاق . لو قالم أحد الناقدين بعملية جرد (كما نقول في اللغة الاقتصادية) أو عملية مسح (كما نقول في اللغة الهندسية) للانتاج الأدبي في السنوات الأولى للاستقلال ، وفي السنوات الأولى للعقد الثاني من الاستقلال - لما استطاع أن يجد فرقا كبيرا يمكنه من القول بأن النشاط الثقافي في ازدهار .

لست متشائما ولا جاحدا . فأمامي وأنا أكتب هذه الكلمة ضرورة صادقة عن الانتاج الذي كتبه الشباب في الشعر والقصة والرواية والمقالة النقدية والبحث الأدبي .. أمامي صورة عما كنبه الجيل الذي ظهر بعد الاستقلال .. وأمامي صورة (عما) كتبه الجيل المخضرم ، اندي عاش قبل الاستقلال وعاش بعد الاستقلال منتجا ومحاولا .. وأمامي صورة عن الأفلام التي اختلفت ، وكانت تبشر بعطاء جيد ، فكشفها عهد الاستقلال حتى اختلف بعضها ، وكاد بعضها أن يختفي .. وأمامي صورة عن الكتب التي نشرت والمجلات التي ظهرت ، والتي اختلف بعضها ، وعن النشاط الثقافي الذي تزعمته هذه الصحيفة أو تلك ، وعن المواسم الثقافية التي

تجلبت في محاضرات وندوات وعروض مسرحية وفنية . ولكن هذا العطاء -
بقطع النظر عن تقويمه الفني ، فليس ذلك موضوع هذا الحديث - إنما
هو اطلالة يمكن أن نقول إنها تبشر ، ولكنها ليست في مستوى الفترة
التي نعيشها ، ولا في مستوى الحماس الذي أظهرناه عندما حصلنا على
الاستقلال السياسي ، فاعتبرنا الاستقلال مرحلة ستطلق الثقافة من عقالها.

لهذا ، فإني أستطيع أن أقول : أننا ما نزال نعيش في فترة ما قبل
الاستقلال ، بالقياس النسبي في المرحلتين . بل أننا تخلفنا عن فترة ما
قبل الاستقلال إذا قسمنا المجهود الثقافي بالشباب الذين خرجوا من المدارس
والكليات ، وبالحرية النسبية التي اقتسرنها ، وبممكنات الانصال الثقافي
بالشرق والغرب ، بالعالم العربي والعالم الأوربي ، بالانفتاح الذي قمنا به
أزاء مجتمعات ثقافية أخرى بعد أن أصبحنا نشترك في المؤتمرات الدولية
والإقليمية ، ونخطى العالم الضيق الذي كانت تحشرنا فيه الحماية .

يعرّد هذا التخلف فيما اعتقد إلى عدة عوامل :

أولها : الاخفاق الكامل في التعليم ، الذي لم يبتد إلى طريقه ،
والذي لم يستطع حتى الآن أن يعرف بهل هو بسبيل إلى اخراج الأطر
الفنية والمهنية ، أو هو بسبيل إلى اخراج المثقفين ، وكل ما استطاع
القيام به هو اخراج الإنسان الفاشل ثقافيا وفنيا .

والفشل في التعليم طبع حياتنا الثقافية بالفشل لأسباب :

+ لم يوط التعليم للمثقف لغة يتقن بها ويفكر ، بله أن يكتب
أو يشرح . فامتدح - مهما يكن نوع تعليمه ومبلغه - منفي في لغتين لا
يستطيع أن يزعم أنه يتقن أحدهما ، ولا يستطيع أن يجرو على أن يفكر
بأحدهما أو يكذب بها . ثم ، أن هو اتقن الأقوى منهما والأسهل
والأحسن ظروفها ، لا يستطيع أن يحس بأنها اللغة التي يمكن أن يؤدي
بها مشاعره أو أفكاره ، ولر أحس بهذه المشاعر واعتنق هذه الأفكار ،
هو منفي في لغة لا يعيش بين المتكلمين بها ، وتنطق مشاعره وأحاسيسه
وأفكاره بلغة أخرى لا يستطيع الأداء بها .

وأمام هذا الفشل ، يفضل المرء لا من ميدان الكتابة والقول
فحسب ، بل من ميدان الثقافة عموماً .

+ التعليم الثانوي والجامعي لم يقدّم بمهمته في تكوين مثقفين ،
ولو أنه يستطيع أن يجعل حاملي شهادته يجتهدون بعض المعلومات مما
يحفظون في دروسهم والكتب المقررة لامتحانهم .

+ أخرج هذا التعليم المضطرب الفاشل الإنسان اللامبالي ، والذي
لا تكاد يده تمتد إلى كتاب أو مجلة أو صحيفة ، والذي لا يكاد يفكر في
حضور محاضرة أو ندوة أو معرض .

وثانيتها : الوضع السياسي ، الذي جعل الإنسان المغربي ينصرف
إلى « ذاته » يحقق طمعه الأدنى . فهو في سباق مع الزمن ومع الآخرين
لتحقيق هذه الأطماع . وليس له من الوقت ما يعيش فيه فترة التأملي
ليكتسب ثقافة أو يشع ثقافة .

وهنا عاملان ينتجان ما نشهد من فشل ثقافي يتجلى في قلة المنتجين
وقلة المستهلكين على السواء .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هل رصد المؤتمر هذه الحقائق ؟

لا أظن .

ولكن الذي اعتقده أن المؤتمرين - وهم يحضرون المؤتمر ، وهم يبحثون
مشاكل الثقافة والانتاج - كانوا يطمعون في أن تكون حياة ما بعد المؤتمر
أحسن ثقافياً من حياة ما قبل المؤتمر . وهم ، وقد عادوا من المؤتمر ،
اكتشفوا ولا شك أن المشكلة أعقد من أن تحل لمجرد أنهم عقدوا مؤتمراً
لاتحاد الكتاب . المشكلة لا يدخل في حلها العامل الذاتي فحسب . ولكنها
مرتبطة بعدة أوضاع قد يكون من غير المعقول أن نطالب الزمرة الصغيرة
التي حضرت مؤتمر اتحاد الكتاب أن تنتصر عليها .

ومع ذلك ، فهي زمرة واعية تتحمل مسؤولية الريادة في الميدان
الثقافي فيما نحسب . ولزيادة تكاليفها ومسؤولياتها . وإذا طالبت نفسها

قبل أن نطالبها ، بالقيام بهذه المسؤولية ، فليس ذلك ارهاقا ، ولا فيه تجاوز حدود .

وعلى هذا ، فأننا يمكن أن نحاسبها ، وقد مرت على عقد المؤتمر نصف سنة أو تزيد ، فنصرخ في وجهها بأنها لم تحرك السواكن في هذه الفترة ، أو لم تنظم نفسها لتحريك السواكن . لم تعمل على الانتصار على الظروف المعوقة . ولم تتخذ بعد صفة الرائد .

أستدل على ذلك من مظهر بسيط هو أن الوضع الثقافي لم يعط الدليل على أنه بدأ يتغير ، وأن المثقفين كتابا وقراء لم يعطوا الدليل على أنهم خرقوا السدود ، وانطلقوا في الميدان الثقافي منتجين ومستهلكين .

ما بعد المؤتمر يجب أن يعطي الدليل على أن شيئا ما أخذ يتغير . ولن نطلب ذلك إلا من المثقفين أعضاء مؤتمر اتحاد الكتاب .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>